Entrance to Orientalism

Mohammad Al-Issa[(1)*] **Anwaar Abu Dheleh**[(2)]

(1) Al al-Bayt University, Mafraq – Jordan.
(2) Al al-Bayt University, Mafraq – Jordan.

* *Corresponding Auther:* mohamad079@yahoo.com

Received: 2/1/2022 Accepted: 5/6/2022

Abstract

Oriental studies occupy a large space in the field of studies, especially those related to history, and if this indicates anything, it indicates its importance and scientific value, so that a study in the field of history and other fields is not without reference to it, and from here the importance of studying orientalism in general emerges.

The importance of this research, which deals with the study of orientalism in terms of concept, language and terminology, its beginning, motives, differing opinions about them, and its impact on Arab –Islamic history, in terms of preserving the sources of books and manuscripts, and the impact of oriental studies on Arab historical studies and Arab researchers methodically and intellectually. This research deals with a number of different opinions of researchers about Orientalism with regard to definition, beginning, and motives.□

مدخل في الاستشراق

محمد صياح العيسى[(١)] **أنــوار أبــو دحيلـة**[(٢)]

(١) جامعة آل البيت، المفرق – الأردن.
(٢) جامعة آل البيت، المفرق – الأردن.

ملخص

تحتل الدّراسات الاستشراقيّة حيزا واسعا في مجال الدّراسات، وخاصّة المتعلّقة بالتّاريخ منها، وإن دلّ ذلك على شيء فهو يدل على أهمّيتها وقيمتها العلميّة؛ بحيث لا تخلو دراسة في حقل التّاريخ وغيره من الحقول من الإشارة إليها، ومن هنا تبرز أهميّة دراسة الاستشراق بشكل عام.

وتكمن أهميّة هذا البحث في تناول الاستشراق بالدّراسة، من حيث مفهومه لغة واصطلاحا، وبدايته ودوافعه، واختلاف آراء الباحثين حوله، وتأثيره في التّاريخ العربي الإسلامي، من ناحية حفظ أمّات الكتب والمخطوطات، وتأثير الدّراسات الاستشراقيّة في الدّراسات التّاريخيّة العربيّة والباحثين العرب منهجيا وفكريا، ويتناول هذا البحث اختلاف عدد من الباحثين حول الاستشراق من حيث التّعريف والبداية والدّوافع.

الكلمات الدالة: الاستشراق، تعريف الاستشراق، بداية الاستشراق، دوافع الاستشراق، الاستشراق والتاريخ.

المقدمة.

تحتلّ الدّراسات الاستشراقيّة حيزا واسعا في مجال الدراسات، وخاصّة المتعلّقة بالتّاريخ منها، وإن دلّ ذلك على شيء فهو على أهمّيتها وقيمتها العلميّة؛ بحيث لا تخلو دراسة في حقل التّاريخ وغيره من الحقول من الإشارة إليها، والدّراسات الاستشراقية تعكس نظرة الغرب إلى الإسلام والتّاريخ العربي الإسلامي، واهتم المفكرون العرب في القرن الماضي بالاستشراق والمستشرقين بالبحث والدّراسة.

وظلّ الاستشراق مثار جدل كبير بين الباحثين والدّارسين المهتمين به، فهناك من يؤيّده وأخذ بمناهجه، وهناك من يرفضه ويردّه انطلاقًا من فكرة عداء الدّراسات الاستشراقية بالعموم للإسلام والمسلمين، وكان لها من الأهداف المعادية للإسلام والعروبة، لكنّه يظلّ مساهمة لا يمكن تجاهل أهمّيتها أو التغاضي عما كان لها من مردود واضح الأثر في إغناء الدّراسات العربيّة والإسلاميّة في مختلف الحقول.

تتناول هذه الدّراسة الاستشراق من حيث: مفهومه لغة واصطلاحا، وبدايته، ودوافعه، وتأثيره في التّاريخ العربي الإسلامي بالتّحديد، وتأثّر الباحثين العرب بمناهجه وأدواته البحثيّة. واتّبعت الدّراسة المنهج التّاريخي، مستندة إلى بعض الدّراسات السّابقة التي تناولت الاستشراق، العربيّة منها والمترجمة، في محاولة لإبراز اختلاف آراء الباحثين في مفهوم الاستشراق وبدايته ودوافعه.

وتستند الدّراسة إلى فكرة أنّ الاستشراق يمثّل محاولة للبحث والتّعرف إلى الآخر[1]، والانفتاح على فكره وثقافته، ونقل صورته كونه مختلفًا، وكون هذا الاختلاف ينبع من خلال مقارنة الأنا بالآخر، فالمختلف قوميًا مثلا هو من ينتمي إلى قوميّة أخرى، والمختلف دينيًا هو من ينتمي إلى دين آخر، وبالتّالي، يمكن القول: إنّ قراءة هذا الآخر المختلف متعلّقة بالنّظر إلى الأنا (الذّات). ومن هنا يمكن القول: إنّ الاستشراق يمثّل قراءة المعطيات المتّصلة بالشّرق من حضارة وثقافة وغيرها من الأمور، من

خلال ما تعكسه مرآة الغرب عنه بصفته مغايرًا ومختلفًا، خاصّة أنّ الشّرق يمثّل "أعمق صور الآخر وأكثرها تواترًا لدى الأوروبيين"(سعيد، ٢٠٠٦)، وبالتّالي، فالاستشراق: صورة الشّرق من وجهة نظر غربيّة.

انطلاقًا ممّا سبق، يمكن القول: إنّ الاستشراق كان نتيجة لاحتكاك الغرب متمثّلًا بالحضارة الأوروبيّة بالشّرق وحضارته، ومن أهم مقدّمات هذا الاحتكاك، الصّراع بين الإسلام والمسيحيّة، في ثنائيّة تمثّل فيها المسيحيّة الأنا، والإسلام الآخر المغاير والمختلف، ما يعني أنّ الاستشراق قام على خلفية الصّراع الفكري بين الإسلام والمسيحيّة.

مفهوم الاستشراق:

الاستشراق لغة: إذا كانت لفظة الاستشراق هي ترجمة للمصطلح الإنجليزي (ORIENTALISM)، فمحاولة البحث عن معنى لغوي في معاجم اللّغة العربيّة القديمة[٢] عن لفظة "استشراق" هو من غير جدوى، لأنّ المصطلح في أصله غير عربي، وإن كانت لفظة استشراق تعبّر عنه في اللّغة العربيّة، ولو حاولنا العودة إلى معاجم اللّغة العربيّة القديمة باحثين عن لفظة "استشراق" من الجذر اللّغوي (ش ر ق) بهذه الصّياغة الصّرفيّة غير موجودة في معاجم اللّغة القديمة (الفارابي، ١٩٨٧; ابن منظور، ١٩٩٣).

ومع ذلك لم تخلُ معاجم اللّغة العربيّة الحديثة من هذه اللّفظة، كمرادف للمصطلح الغربي، فهي مصدر للفعل استشرق، ومدرجة في معاجم اللّغة الحديثة تحت مادة شَرَقَ، ومنها: شَرَقَت الشمسُ، تَشْرُق شُروقًا وشَرْقًا: أي طَلَعَتْ، واسم الموضع المَشْرِق، واستشرق في معجم "متن اللغة": "طلب علوم أهل الشّرق ولغاتهم" (رضا، ١٩٥٩، ص: ٣١٠)، وخُصصت اللفظة بعلماء الغرب، "ويقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة" (رضا، ١٩٥٩، ص: ٣١٠)، وهو أيضا "عناية واهتمام بشؤون الشرق وثقافاته ولغاته، وأسلوب غربيّ للسّيطرة على الشّرق وإعادة بنائه وبسط النّفوذ عليه" (عمر، ٢٠٠٨)، ويشير صاحب المعجم الأول أنّ هذه اللّفظة "مولّدة عصريّة"(رضا، ١٩٥٩)، وبالتّالي، فإنّ وجودها في معاجم اللّغة الحديثة يعني أنّ كلمة استشراق – بمعناها المرادف لكلمة (ORIENTALISM) ذات المفهوم الغربيّ– كلمة مستحدثة.

ونجدها أكثر تحديدا في المنهل (قاموس عربي– فرنسي)، حيث "جاءت لفظتا شرق ومستشرق مقابلتين للفظة الفرنسية "Orient " و"Orientaliste " لوصف أهل الشّرق أو الشّرقيين، و"Oriental":

هو الشّرقي والمشرقي، و"Orientalisant" لوصف كلّ متأثّر بالشّرق، أمّا الاستشراق فيعبّر عنها بلفظة "Orientalisme" التي لها أيضًا معنى: حب الأشياء الشّرقيّة، والمستشرق أو العالم باللّغات والآداب الشّرقيّة" (إدريس، ٢٠٠٤).

أمّا في المورد (قاموس عربي– انجليزي) نجدها مشتقّة من "orient" أي الشّرق، و"oriental" الشّرقي أو المشرقي أي أحد أبناء الشّرق، و"orientalism" الاستشراق: أي معرفة ودراسة اللّغات والآداب الشّرقيّة، ومنها "orientalist" المستشرق، وهو الدّارس للغات الشّرق وفنونه وحضارته (البعلبكي، ١٩٧٠).

والاستشراق كفعل كان أسبق تاريخيًّا من ظهور المصطلح، حتّى أنّ لفظة "الاستشراق" و"المستشرق" عام (١٠٩٥هـ/١٦٨٣م) كان يُعنى بها "أحد أعضاء الكنيسة الشّرقية"، واستخدمت تحديدًا في وصف الأب "بولينوس" (سمايلوفتش، ١٩٩٨؛ زماني، ٢٠١٠)، وبالتّالي، فهي كلمة حديثة حتّى في الإنجليزيّة والفرنسيّة، حيث ظهرت كلمة مستشرق في الإنجليزية لأوّل مرّة في إنجلترا عام (١١٩٣هـ/١٧٧٩م)، ثمّ ظهرت في فرنسا عام (١٢١٤هـ/١٧٩٩م) (حميش، ٢٠١١)، أمّا في العربيّة، فقد ظهرت وانتشرت في النّصف الثّاني من القرن العشرين، و"لم تبرز بكثافة وعلى النّحو العصي على الحساب والرّصد إلا بعد نهاية السّبعينيات من القرن العشرين" (الدعمي، ٢٠٠٨).

الاستشراق اصطلاحاً:

يعبّر مصطلح الاستشراق عن الاهتمام العلمي بالشّرق، مهما كانت الغاية من هذا الاهتمام، ومع تعدّد الدّراسات التي أرّخت لموضوع الاستشراق، تعدّدت تعريفاته، "إلى حدّ أن خبراء الاستشراق اعتبروا أنّ تدوين تعريف دقيق جامع مانع للاستشراق أمر مستحيل" (زماني، ٢٠١٠).

ومهما تعدّدت التّعريفات يبقى الاستشراق متّصلا بالشّرق، وبالتّالي وجب تحديد مفهوم الشّرق الجغرافي الذي يقوم عليه الاستشراق كمصطلح وكفعل أولا، فـ "الشّرق جغرافيًّا لا يدلّ على شيء ثابت، إنّما هو حدّ نسبي يمكن أن ينطبق على كلّ صقع من أصقاع المعمورة" (شدر، ١٩٩١)، وقد تنبّه المستشرق رودي بارت(*) إلى أهميّة تحديد الشّرق جغرافيًّا، حيث يشير إلى أن كلمة "استشراق" مشتقة من "شرق" أي مشرق الشّمس، وبالتّالي الاستشراق هو علم الشّرق (بارت، ٢٠١١).

ويضيف "أنّ الشّرق الذي يختصّ به الاستشراق، مكانه جغرافيًّا في النّاحية الجنوبيّة الشّرقيّة بالقياس إلينا" (بارت، ٢٠١١، ص:١٧)، والمصطلح يرجع إلى عصور قديمة كان فيها البحر المتوسّط وسط العالم، وكانت الجهات تتحدّد بالنّسبة إليه، حتّى مع تغيّر ثقل الأحداث السّياسية بقي المفهوم على

حاله، فالشّرق هو شرق البحر المتوسط، إلى أن اتّسع مدلولها مع الفتوحات الإسلاميّة لتشمل مصر وشمال أفريقيا أيضًا (بارت، ٢٠١١).

وقد أشارت الدّراسة في البداية إلى أنّ تعريفات الاستشراق تعدّدت بتعدّد الدّراسات التي تناولته، وبعض هذه التّعريفات عام واسع شمل دراسة الشّرق، وما يتّصل به من لغة وتاريخ وحضارة وغيرها، وبعضه الآخر خُصّ بدراسة الحضارة العربيّة الإسلاميّة، ومن أشهر هذه التّعريفات تعريف إدوارد سعيد، فحين نلفظ كلمة استشراق (ORIENTALISM) يستحضر فكر القارئ كتاب إدوارد سعيد الأشهر والأسبق تحت هذا المسمّى، وهو "الاستشراق: المفاهيم الغربية للشّرق" عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٨م)[٣]، الذي يعدّ حجر أساس لأيّة دراسة تناولت الاستشراق فيما بعد.

فالاستشراق: تعبير أطلقه سعيد على ما عنى به "التّفاهم مع الشّرق بأسلوب قائم على المكانة الخاصّة التي يشغلها الشّرق في الخبرة الأوروبيّة الغربيّة" (سعيد، ٢٠٠٦، ص:٤٣)، أي إدراك الشّرق واستيعابه استنادًا إلى الصّورة التي بناها الغرب عن الشّرق؛ كونه مجاورًا لأوروبا، ومصدرًا لحضارتها ولغاتها، ومنافسها الثّقافي، وهو الصّورة والفكرة والشّخصية والخبرة المضادة للغرب منذ القدم (سعيد، ٢٠٠٦).

وبذلك، فقد عدّ سعيد الاستشراق "أسلوبا للخطاب (التفكير والكلام) تدعمه مؤسّسات ومفردات وبحوث علميّة، وصور ومذاهب فكريّة، بل وبيروقراطيات[٤] استعماريّة، وأساليب استعماريّة" (سعيد، ٢٠٠٦، ص:٤٣/٤٤)، وسعيد هنا يعرّف الاستشراق مُوظّفًا أو مستندًا على فكرة الخطاب التي طرحها ميشيل فوكو، حيث توصل إلى حجّة مفادها: أن الاستشراق نظام خطابي، تمكّنت من خلاله الثّقافة الأوروبيّة من إنتاج الشّرق بل ابتداعه (سعيد، ٢٠٠٦).

ويقصد سعيد بالاستشراق عدّة أمور يعتمد بعضها على بعض، أولها وأوسعها هو: أنّه مبحث أكاديميّ، "فالمستشرق كلّ من يعمل بالتّدريس، أو الكتابة، أو إجراء البحوث في موضوعات خاصّة بالشّرق، سواء كان ذلك في مجال الأنثروبولوجيا أي علم الإنسان، أو علم الاجتماع، أو التاريخ، أو فقه اللغة، وسواء كان ذلك يتصّل بجوانب الشّرق العامّة أو الخاصّة، والاستشراق وصف لهذا العمل" (سعيد، ٢٠٠٦، ص:٤٤)، أمّا في معناه الأعم والأشمل قصد به: أسلوب تفكير يقوم على التّمييز الوجوديّ والمعرفيّ بين ما يسمّى "الشرق"، وبين ما يسمّى "الغرب" (سعيد، ٢٠٠٦).

ومن ناحية أخرى يرى أنّ الاستشراق هو "المؤسّسة الجماعيّة للتّعامل مع الشّرق، والتّعامل معه

يعني التّحدث عنه، واعتماد آراء معيّنة عنه، ووصفه، وتدريسه للطّلاب، وتسوية الأوضاع فيه، والسّيطرة عليه: وباختصار بصفة الاستشراق أسلوبًا غربيًّا للهيمنة على الشّرق، وإعادة بنائه، والتسلّط عليه" (سعيد، ٢٠٠٦، ص٤٥)، وقد حدّد سعيد نقطة انطلاق زمنيّة للاستشراق بهذا المعنى، وهي القرن الثّامن عشر الميلاديّ.

وبالنظر إلى ما أورده سعيد من تعريفات للاستشراق، نلحظ أنّه يصف الاستشراق ويحدّد وظيفته، وهو يوظّف في تعريفه غاية يريد إيصالها للمُتلقّي، وهي أنّ الاستشراق دليل السّيطرة والهيمنة الغربيّة على الشّرق، وذلك من خلال ربطه لأفكار فوكو عن السّلطة والمعرفة، وتحديدًا السّلطة التي تنتج المعرفة.

ويمكن هنا طرح سؤال عن ماهية الاستشراق، هل هو علم، إيديولوجيّا[٥]، مؤسّسة جماعيّة، ظاهرة، نظريّة، خطاب، منهج أم هو رؤية، أم كلّ متكامل مما سبق؟

يرى أحد الباحثين: أنّ الاستشراق هو ظاهرة علميّة، فعلى الرّغم من أنّه علم من العلوم الإنسانيّة، إلا أنّه لا يتمتّع كبقية العلوم بالديمومة والثّبات والاستقرار، فأُطلق عليه تسمية "الظّاهرة العلميّة" (سالم، ٢٠٠٢، ص٢٢)، فالاستشراق –حسب رأيه– مرّ بمراحل متعدّدة من دينيّة إلى سياسيّة إلى علميّة، وكلّ مرحلة تتميّز بخصائص مختلفة عن سابقتها؛ تبعًا للأغراض والموضوعات التي يتناولها، وهو لا يتّصف بالاستمرار والثّبات، فهو على وشك الزّوال، وقد تناقصت موضوعاته وانتهت أغراضه، ولم يعد هناك جديد يقدمّه (سالم، ٢٠٠٢).

ويمكننا أن ننظر إلى الاستشراق على أنّه ظاهرة معقّدة ومتنامية؛ مستمدّة من الاتّجاه التّاريخي العام للتّوسع الأوروبي الحديث، وينطوي على مجموعة كاملة من المؤسّسات الآخذة في التّوسع تدريجيًّا، وهي مجموعة مبدئيّة تراكميّة من النّظريّة والممارسة، وهي بنية فكريّة أيديولوجيّة متناسبة مع جهاز من الافتراضات، والمعتقدات، والصّور، والمنتجات الأدبيّة، والعقلنة، وهو ما أطلق عليه صادق جلال العظم "الاستشراق المؤسّسي"(العظم، ٢٠٠٤).

ومع ذلك يبقى تعريف بعض الباحثين للاستشراق في المعنى العام والواسع حاضرًا، على سبيل المثال: يعرّف بمعناه الواسع على أنّه: علم يدرس لغات وشعوب الشّرق، وتراثهم، وحضارتهم، ومجتمعاتهم، وماضيهم، وحاضرهم، وبالتّحديد الدّراسات المتعلّقة بالشّرق الأوسط (فوزي، ١٩٩٨).

بينما يرى عبدالله العروي أنّ الاستشراق قسم من الأسطوغرافيا[٦] العامّة، موحّد في موضوعه متنوّع في مسالكه ومناهجه (العروي، ٢٠٠٥)، أمّا رودي بارت فيرى: أنّ كلمة استشراق مشتقّة من

الشّرق، التي تعني مشرق الشّمس، وعلى هذا يكون الاستشراق علم الشّرق أو علم العالم الشّرقي (بارت، ٢٠١١)، ويضيف آخر مُخصّصًا أنّه: الدّراسات الغربيّة المتعلّقة بالشّرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام (زقزوق، ١٩٩٧)، ويحدد مالك بن نبي مصطلح المستشرقين قاصدًا بهم الكتّاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلاميّة (ابن نبي، ١٩٩٦)، وفي هذا تخصيص للاستشراق وحصر له بالحضارة الإسلاميّة.

بداية الاستشراق ودوافعه:

كما اختلف الباحثون في تعريف الاستشراق، اختلفت آراؤهم أيضًا في بداية الاستشراق، فليس هناك اتّفاق على تاريخ محدّد لبدايته، فمنهم من ربطه بحدث وتاريخ محدّد أو بقرن معين، وبالعودة إلى سعيد، نجده يعدّ عام (٧١٢هـ/١٣١٢م) تاريخًا رسميًّا لبداية الاستشراق، وفيه اتّخذ مجمع الكنائس في فيينا قرارًا بإنشاء كرّاس للدّراسات العربيّة والعبريّة واليونانيّة والسّريانيّة في الجامعات (سعيد، ٢٠٠٦).

إلا أنّ الاختلاف لا يزال موجودا، فيرى باحث آخر أنّ الاستشراق بدأ رسميًّا في القرن الثّامن عشر، لأنّ كلمة (Orientalism) قد دخلت معاجم اللّغة في منتصف هذا القرن (زماني، ٢٠١٠)، ويعتقد رودي بارت أنّ البداية الحقيقيّة للدّراسات العربيّة والإسلاميّة ترجع إلى القرن الثّاني عشر، وتحديدًا إلى عام (٥٣٨هـ/١١٤٣م) حيث ترجم (روبرت كتون) القرآن الكريم لأوّل مرّة إلى اللاتينيّة، وشكّلت هذه التّرجمة المعلم البارز والأساسي في مجال الدّراسات الإسلاميّة في أوروبا الوسيطة، وفي نفس القرن أيضًا نشأ أوّل قاموس لاتينيّ عربيّ (سوذرن، ٢٠٠٦; بارت، ٢٠١١).

ومنهم من يرجع بداية الاستشراق إلى بداية احتكاك جيوش الفتوح الإسلاميّة بأوروبا(حميش، ٢٠١١)، وتحديدًا في القرن الثّامن الميلادي في الأندلس (سمايلوفتش، ١٩٩٨)، ويرى آخر أنّ نواة حركة الاستشراق بشكلها الثّقافيّ والعسكريّ كانت الحروب الصّليبية[٧]، لكن صلة الاستشراق الثقافيّة مع الحضارة العربيّة الإسلاميّة كانت أقدم من ذلك، خلال عهد الوجود العربي في الأندلس وصقليّة، وازدهار حركة التّثقف الأوروبي في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، بالإضافة إلى نقل منجزاتها الثّقافيّة –لاسيّما– الفلسفيّة والعلميّة، وخاصّة المتأثّرة بالفلاسفة المسلمين، أمثال: الفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم (مروّة، ١٩٨٧)، ويبالغ آخر في عدّ "هيرودوت" الملقّب بأبي التّاريخ أوّل المستشرقين في مرحلة الاستشراق العام،

وعدّ يوحنا الدّمشقي أوّل مستشرق في الدّراسات الإسلاميّة (زماني، ٢٠١٠).

في حين يعارض ذلك رضوان السّيد، ويرى أنّ ترجمة القرآن من العربيّة لأوّل مرّة في القرن الثّاني عشر الميلادي، وقرار مجمع فيينا في القرن الّذي يليه، وما يشابهها من جهود حتّى مطلع القرن السّادس عشر، لم تكن استشراقًا؛ لأنّ مقاصدها تبشيريّة وليست معرفيّة، وتمثّل جزءا من الحروب الدّائرة بين المسيحيّة والإسلام منذ ظهوره في القرن السّابع الميلادي (السيد، ٢٠١٦).

أخذ الاستشراق بالتّبلور –حسب رأي طيب تيزيني– مع نشوء الاستعمار[٨] الرّأسمالي والامبرياليّة[٩]؛ إذ يرى أنّ الاستشراق بأشكاله البسيطة بدأ مع الملامسات الأولى بين أوروبا الصّاعدة باتّجاه الثّورة البرجوازيّة[١٠]، والشّرق الذي كان قد ودّع مراحل الازدهار الحضاريّ في العصور الوسيطة العربيّة، وذلك مع بداية الحروب الصليبيّة وما تلاها من تطوّرات اقتصاديّة وسياسيّة وثقافيّة (تيزيني، ١٩٨٩).

ويمكن القول هنا: إنّ الاستشراق بدأت إرهاصاته في القرون الوسطى، وتحديدًا حين شكّل الإسلام تحديًا عقديًا وعسكريًا للمسيحيّة، في زمن كانت الكنيسة تجمع فيه بين السّلطتين الدّينيّة والزّمنية، وتسيطر فيه على العلم والمعرفة، فأصبح من الضّرورة معرفة هذا الدّين الجديد ومعرفة ماهيته، فكانت هذه المعرفة مدفوعة بالضّرورة؛ إذ كان صعود الإسلام كقوّة عالميّة سياسيّة عسكريّة ثقافيّة والأهم دينيّة، يشكّل تهديدًا على الغرب المسيحيّ، "فلقد كان الإسلام الوسيط يفيض ازدهارًا وثراء في المجالات كلّها، بينما كان الغرب في الحقب نفسها لا يملك غير ثقافة آباء الكنيسة، والشّعراء الكلاسيكيين ومن بعدهم، وثقافة مدرّسي اللاتين" (سوذرن، ٢٠٠٦، ص:٤٤).

وبالرّغم من أنّ مصطلح استشراق قد تأخر ظهوره، إلا أنّ هذا لا ينفي بداية الاستشراق في فترة زمنيّة أبكر، فليس شرطًا أن يكون القرن الثّامن عشر بداية للاستشراق فقط لدخول الكلمة معاجم اللّغة في منتصف هذا القرن، وترى الدّراسة أنّه لم يكن اعتبار مجمع فيينا عام (٧١٢هـ/ ١٣١٢م) بداية رسميّة للاستشراق، فعلًا عبثيًا، فهذا المجمع يشكّل إعلانًا رسميًا من الكنيسة بضرورة تعلّم اللّغات الشّرقيّة، وهي بذلك دخلت ضمن البرنامج الرّسمي للتّعليم، وبالتّالي إعداد أشخاص مؤهّلين للقيام بدراسة هذه اللّغات التي تعدّ مفاتيح لمعارف النّاطقين بها وما يتعلّق بهم، وإدخال هذه اللّغات ضمن الجامعات يعني أنّ هذه المعرفة أصبحت مؤسّساتيّة.

وبما أنّ كلّ هذا تحت إشراف الكنيسة، فليس من الغريب أن تكون مقاصد هذه المعرفة تبشيريّة، وكونها تبشيريّة فهذا لا يغيّر شيئًا في كونها معرفة تدور حول الشّرق، ومعرفة الدّين الإسلامي ودراسة

اللّغة العربية وغيرها من اللّغات الشّرقية، كان مطلبًا لروجر باكون (٦١١-٦٤٧هـ/١٢١٤-١٢٤٩م) وغيره منذ عام (٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، فكان هذا القرار تبنّيًا لأفكارهم (سوذرن، ٢٠٠٦)، وبذلك منح مجمع فيينا الشّرعيّة والصّفة الرّسميّة لتلك المطالب.

أمّا عن **دوافع** الاستشراق وأهدافه، فقد تعدّدت وتباينت آراء الباحثين حولها، منها: الدّافع الدّيني أو التّبشيري، والدّافع الاستعماري، والدّافع العلمي، وغيرها، ويمكن ربط الدّوافع والأهداف بسهولة بالغة، ومحاولة إعادتها جملة وتفصيلًا لا يشكّل إلا إعادة سرد لما جاء في الدّراسات السّابقة عن الاستشراق، ولكن بحكم أن الاستشراق هو معرفة تتبع من الاختلاف وتتمحور حول الآخر المجهول، فمحاولة التّعرف إلى هذا الآخر والانفتاح على فكره وثقافته، هو دافع للبحث عنه واكتشافه، وهذه الفكرة بحد ذاتها تتبع من رغبة الإنسان في البحث والكشف عمّا هو جديد ومختلف.

والاختلاف: أساس وسنة في الخلق، ويبرز هذا في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ...**﴾[الحجرات: ١٣]، وبما أنّ الاختلاف هو سنة في الخلق، فالتّعارف والتّواصل بين الأمم والشّعوب ضرورة تتبع من هذا الاختلاف، وعليه، فإنّ الاهتمام بدراسة الشّعوب والأمم المجاورة موجود في كلّ زمان، ولو عدنا لكتابات المسلمين حول الشّعوب المجاورة لهم، سنجد كثيرًا، وعلى وجه التّحديد في أدب الرّحلات، فقد ترك الرّحالة المسلمون كتابات وصفوا فيها الأمم المجاورة وحضارتها وأدبها وعلومها، ونقلوا من خلال هذه الكتابات تصوّراتهم عنها، ويمكن القول: إن هذا الوصف كان تقييمًا وحكمًا على الآخر من خلال الذّات، فكانت قراءة للآخر في مرآة الأنا.

ويمكن القول أيضا: إن الاستشراق هو نتاج لفعل معرفيّ، يخضع لمحدّدات وأُطُر خارجيّة، تؤثّر بالذّات العارفة وتساهم في تشكيلها، فهذه المعرفة لم تكن بمعزل عن ما هو سائد من أفكار وميول ونزعات، تأثّر فيها الباحثون أفرادًا أو حتّى من خلال المؤسّسات التي تقوم على إنتاج هذه المعرفة، فالمستشرق ينتمي إلى التّراث الأدبيّ والفكريّ والثّقافيّ العام السّائد؛ بوصفه إطارًا لا يستطيع الخروج عنه، وهو ما يسمى بالبُنُوّة (سعيد، ٢٠٠٦)، فيبقى ما ينتجه المستشرق وليدًا داخل هذا الإطار بشكل حتميّ.

وهنا وجب دراسة العلاقة بين هذا الإطار والمنتج، أي الدّراسات الاستشراقيّة، ودراسة مدى التّغيّر في هذا الإطار وتأثيره فيها، وكون الاستشراق هو معرفة، فلا بدّ لهذه المعرفة أن ترتبط

بسلطة وتكون خاضعة لها، سواء أكانت هذه السّلطة سياسيّة أم دينيّة...إلخ ، وهذه السّلطة تحدّد غايات هذه المعرفة ودوافعها واتّجاهاتها.

فعلى الباحث في مجال الاستشراق النّظر إلى الرُّؤى والمواقف الاستشراقيّة نظرة تاريخيّة، وربطها بالسّياق التّاريخي العام، وبحث مدى تأثّرها فيها، وقد نسجت أيديولوجيا التّفوق العرقي والسّسيولوجي الثّقافي لأوروبا وعيًا خاصًا بها بأنّها: القادرة على صوغ وعيها الأوروبي الخاصّ عن الشّرق، بقدر ما هي قادرة على صوغ وعي العالم الشّرقي، وذلك بما يقتضيه وعيها الخاص، ذلك الوعي الذي يندرج تحت وعي الهيمنة والشّمولية (تيزيني: ١٩٩٦).

ولو حاولنا ربط المعرفة بالسّلطة، لوجب القول: إنّ المعرفة النّاتجة عن التّبشير هي معرفة تبشيريّة، باعتبار الكنيسة هي السّلطة الدّينيّة الأعلى، وكذلك الاستعمار؛ فالمفترض أن تكون المعرفة النّاتجة عنه استعماريّة وهكذا، وهنا تبرز مسألة مدى الحاجة إلى هذه المعرفة ، فلو أخذنا قياسًا على هذا احتلال أمريكا، فلم يكن هناك حاجة لدراسة شعوبها لاستعمارها، وإنتاج معرفة "استغرابية" تضاهي المعرفة الاستشراقيّة عنها، من النّاحية الدّينيّة أو اللّغويّة على الأقل.

الاستشراق والتاريخ العربيّ الإسلاميّ:

لقد عمد المستشرقون إلى خدمة التّراث الإسلامي بكلّ ما يحتويه، وتناولوه جمعًا وتحقيقًا ودراسة، وقاموا بتصنيفه وترجمته ونشره، وأفاد التّراث من المستشرقين من خلال تطبيق مناهجهم المختلفة عليه، وبذلك خدم الاستشراق التّراث العربي بشكل لا يمكن الاستغناء عنه، فكان هذا من أهم النّتائج الإيجابيّة لحركة الاستشراق، فقد أنقذوا كنوزًا كان يمكن أن تضيع، فبقيت بفضلهم ومجهودهم محفوظة، وإن كانت في غير أرضها (مروّة، ١٩٨٧)

يضاف إلى ذلك، تحقيقهم مئات المخطوطات بمختلف اللّغات: العربيّة، السّريانيّة، الفارسيّة، التّركية، وغيرها، التي ما كانت لتتوفّر بين أيدي الباحثين لولا عناية المستشرقين بها، أمّا في مجال الدّراسات الاستشراقيّة، فعلى الرّغم من أهمّيتها لأي دارس للتّراث العربيّ الإسلاميّ في شتّى مجالاته، وحجم المجهود الذي بذل في إنجازها، ومدى تأثيرها في الباحث العربيّ، وخاصّة ما يتعلّق بالجانب المنهجي، إلا أنّها ليست إيجابيّة بشكل كامل فهي تحوي سلبيّات أيضًا.

ولا يمكن إنكار أنّ هذه الدّراسات استُثمرت في بثّ أيديولوجيّات معيّنة، كانت تفيد الحركة الاستعمارية على سبيل المثال، وتؤدّي إلى التّحكم والتّوجيه الثّقافي، فليس غريبًا بروز مسألة القوميّة في

الأوساط العربيّة من خلال تفسير التّاريخ ببعد قومي مثلا، والاستناد إليه في توجيه الحركة الفكريّة بشكل عام في المنطقة، فكان الغرض الأوّل من التّوجه الإمبريالي، عن طريق حركة الاستشراق، نحو السّيطرة على الثّقافة العربيّة، بمعنى التّحكم باتّجاهاتها الحديثة، لتكون دراسة تراثها الفكري أحد وسائل هذا التّحكم، وأحد أشكاله (مروّة، ١٩٨٧).

ومع أنّ الأفكار التي جاء بها المستشرقون كانت خاضعة للنّقاش والجدل، وللقبول والرّفض، إلا أنّ الباحثين[١١] العرب لم ينكروا فضل المستشرقين خاصة في مجال تحقيق المخطوطات وطباعتها ونشرها وحتّى بحثها، فقد شهد القرن التّاسع عشر تكريسًا للبحث عن الوثائق والمواد العربيّة على نحو تدريجيّ، حتّى أصبح طلب المراجع والمخطوطات أشبه ما يكون بالحمى أو الجنون بين المستشرقين (الدعمي، ٢٠٠٨).

ويعدّ التّاريخ من أهم المجالات التي احتلّت حيزًا في الدّراسات الاستشراقيّة؛ لاحتوائه على مظاهر الوحدة والتّنوّع، ويؤكّد على ترابط الأمّة واستمرارها عبر العصور (فوزي، ١٩٩٨)، بكلّ قيمها وإنجازاتها السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والحضاريّة والفكريّة، أمّا الانكباب على دراسة الإسلام كتاريخ ودين وحضارة؛ لأنّه واحدًا من أعظم أحداث التّاريخ العربي خاصّة، والشّرقي عامّة.

ويرى أحد الباحثين أنّ المستشرقين هبة من الله للإسلام وتاريخه، يقول: "يشاء الله أن يهب الإسلام من الأوروبيين من يؤرّخون له كسياسة فيجيدون التّأريخ، ومن يبحثون فيه كدين وحياة روحيّة؛ فيتعمّقون بهذا البحث ويبلغون الذّروة أو يكادون، ومنهم من يقبلون على الجانب الفيلولوجي منه؛ فيظفرون بنتائج على جانب من الخطر كبير، فكان على رأس هؤلاء الأخيرين ثيودور نولدكه، وعلى رأس أولئك الأولين فلهاوزن، وكان سيّد الباحثين فيه من النّاحية الدّينية خاصّة والرّوحيّة عامّة أغناتس جولدتسيهر" (بدوي، ١٩٩٣)، وبذلك أتاح المستشرقون المجال لرؤية تاريخيّة من زوايا ومداخل مختلفة، فرضت على المتلقّي العربي تحدّيات استفزازيّة أغنت نظرته نحو التّاريخ والثّقافة.

ومن الموضوعات التي حظيت بأهميّة خاصّة، الإسلام وظهور النّبي وتحديدًا تاريخ السّيرة النّبوية والدّعوة وتاريخ القرآن الكريم، وانطلاقًا من تاريخ الخلافة والخلفاء، الممتدّة من الخلافة الرّاشدية إلى الأمويّة والعباسيّة وصولا إلى العثمانيّة، بالإضافة إلى تاريخ الحضارة بمحتوياتها جميعها، وما أنتجته من فكر وثقافه، ومدى تأثّرها وتأثيرها بغيرها.

فكانت الدّراسات التّاريخية حول الشّرق العربي الإسلامي، استجابة لدافع معرفة الذّات وإدراكها من

خلال المُقارنات والمُقاربات مع الآخر (الدعمي، ٢٠٠٨)، والكتابات التّاريخية الاستشراقية بأشكالها وكثافتها المختلفة كانت تعكس شيئًا من أجواء وقتها الأصلي، فلا يمكن النّظر إليها بتجرّد وبمعزل عن بدايتها التّاريخيّة، ولا يمكن عزلها عن الإمبرياليّة والمطامع الاستعماريّة، والتّوجّهات الفكريّة المرتبطة بها، ويمكن القول: إنّ اتّجاهات التّأريخ ودراساته كانت تسهم إسهامًا فاعلًا في المجالات: الفكريّة والثّقافيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة.

والدّراسات الاستشراقية على تعدّد موضوعاتها واتجاهاتها الفكرية وغاياتها المرتبطة بها، فيها الغثّ والسّمين، ولا يمكن تأكيد خلوّها من الموضوعيّة، ومن النّظرة التّاريخية والمنهجيّة العلميّة البحتة، وهو ما أثّر بشكل أو بآخر في الباحثين العرب في القرن العشرين، فنجدهم تجاوزوا الاندهاش من المناهج والأساليب في الدّراسات الاستشراقيّة وطريقة تعاملها مع التّراث وحقائقه، وخاصّة تناولهم مسائل كان يستحيل على المثقّف العربيّ المسلم تحديدًا، التّفكير فيها وتناولها بالبحث والدّراسة، فانتقل المتلقّي العربيّ من مرحلة الرّفض التّام والدّهشة، إلى الانسياق مع هذه المنهجيّات وإنتاج دراسات عربيّة تتبع المناهج نفسها، أدّت في البداية إلى صدام حادّ مع المجتمع والوسط الثّقافي الذي قابلها بالهجوم والقمع والرّفض، وصولًا إلى المنع والقتل لأصحابها.

ثمّ إنّ محاولة تفسير الأحداث التّاريخيّة، بحشرها في قوالب تخدم نظريّات أو مفاهيم أو حتّى أيديولوجيّات بحدّ ذاتها، أدّى إلى تعدّد التّفسيرات للحدث الواحد، وحصر هذه التّفسيرات في إطار معيّن وحكم مسبق يتناسب مع منطلقات الباحث، "فالبحوث التّاريخية مقضي عليها بالموت إذا سخّرت لأيّة نظريّة أو رأي مسبق" (فوزي، ١٩٩٨).

وكان التّفسير القومي للتّاريخ من أبرز الاتّجاهات التي برزت في القرن العشرين، خاصّة في تفسير أحداث التّاريخ الإسلاميّ، في محاولة للتّركيز على الاختلافات الأثنولوجيّة[١٢] بين العرب وغير العرب، وانساق العديد من المستشرقين[١٣] وراء البعد القومي كتفسير لأحداث وقعت في عصر معيّن في التّاريخ العربيّ الإسلاميّ، وذلك لوقوع المستشرقين أنفسهم تحت تأثير العامل القومي والصّراع بين القوميّات.

ويلاحظ انتشار هذا التّفسير بين القوميين العرب؛ وذلك لبروز الحاجة لهذا التّفسير، فاستنادهم على العصر الأموي كتاريخ للقومية العربية وللعرب والعروبة، وذلك انسياقًا وراء آراء بعض المستشرقين التي ظهرت في السّاحة الثّقافية العربيّة في تلك الفترة، بالإضافة إلى الحاجة إلى الاستناد تاريخيًا لتأييد القوميّة العربية التي ظهرت بقوّة في القرن العشرين، فكانت القضايا التي شغلت العرب

في القرن العشرين كالحرية، الاستقلال، النّهضة، الوحدة، القوميّة، العروبة، وغيرها من القضايا ذات تأثير بارز في الكتابة التّاريخيّة.

فترتّب على المتلقّي أيّا كان قارئًا أو حتّى باحثًا، فهم هذه التّفسيرات فهمًا تاريخيًا، وعدم النّظر إليها بمعزل عن الظّروف التّاريخية التي أنتجتها، لذلك وجب فهم المؤرخ واتّجاهه وثقافته والبيئة التي عاش فيها، وهذا ليس فيما يتعلّق بالرّوايات التّاريخيّة والرّواة في أمّات الكتب فقط، بل حتى في الدّراسات الحديثة، فالكتابة التّاريخية قابلة للتّأثر والتّأثير بالظّروف الرّاهنة.

وفي الختام، يمكن القول: إن الاستشراق مصطلح اختلف فيه العديد من الباحثين، وظهر هذا الاختلاف في تعدّد تعريفاته وتعدّد الآراء في نشأته ودوافعه، وهو في حدّ ذاته فعل معرفيّ ثأثّر بالاتّجاهات الفكريّة للباحثين الذين أنتجوه، وهو معرفة غربيّة عن الشّرق تتبع من الاختلاف وتتمحور في الشّرق المجهول، فمحاولة التّعرف إلى هذا الآخر والانفتاح على فكره وثقافته، هو دافع للبحث عنه واكتشافه، وهذه الفكرة بحدّ ذاتها تتبع من رغبة الإنسان في البحث والكشف عن ما هو جديد ومختلف.

الهوامش:

(١) الآخر: هو من ليس أنا بالنسبة لي، وبالتالي كل ما يميز هذا الآخر ويمثله هو مختلف عني أنا، ومن هنا تقدم الأنا قراءة للآخر من خلال معاييرها الثّابتة الصحيحة، فيكون الحديث عن الآخر ما هو إلا انعكاسا له في مرآة الأنا، والاستشراق هنا ما هو إلا الشرق، وما يتصل به منظورا إليه من الفكر الغربي، فيكون الأخير هو الأنا والشّرق هو الآخر.

(٢) نقصد بالمعاجم القديمة المصادر مثل لسان العرب لابن منظور والمحيط للفيروزآبادي وغيرها من المعاجم.

(*) مستشرق ألماني ولد عام ١٩٠١م، تتلمذ في الدراسات العربية ، وعين مدرسا في قسم الدراسات الشرقية في جامعة توبينجن، ثم شغل كرسي علوم الإسلام والساميات في جامعة بون خلفا لباول كاله عام ١٩٤١م، من أشهر أعماله ترجمة القرآن إلى اللغة الألمانية مع شرح فيلولوجي (بدوي، ١٩٩٣).

(٣) الطّبعة الأولى للكتاب صدرت عام ١٩٧٨م، عن دار (Routledge and Kegan paul)، راجع تصدير كتاب الاستشراق بقلم مترجمه محمد عناني، (سعيد، ٢٠٠٦).

(٤) جمع بيروقراطية: وهي اصطلاح سياسي يقصد به نظام الحكم الذي يتمثل في دولة تدير شؤونها طبقة من كبار الموظفين(النبهان، ٢٠٠٨).

(٥) هي مجموعة من النّظريات والأهداف المتكاملة، التي تشكّل قوام برنامج سياسي اجتماعي أو مذهب أو عقيدة أو نظام (النبهان، ٢٠٠٨).

(٦) يستخدم العروي مصطلح التاريخيّات كمقابل لكلمة أسطوغرافيا، وهي تعني بالمعنى الضّيق: مجموعة النّتائج التي توصل إليها الدارسون للكتابات التقليدية، مثل: الحوليّات، والمذكّرات، والأخبار الجزئيّة، والطّبقات، والسّير.. إلخ، وبالمعنى الواسع: هي دراسة طرق البحث والاستقصاء في شؤون الماضي (العروي، ٢٠٠٥).

(٧) تعرف الحروب الصليبية بأنّها: الحملات العسكرية التي قامت بها أوروبا إلى الشرق العربي الإسلامي عند نهاية العصور الوسطى بالفترة ما بين (٤٩٠هـ – ٦٩٠هـ/ ١٠٩٦م–١٢٩١م) تحت ستار الدّوافع الدينية ، هدفها بسط النّفوذ الغربي على الشرق الإسلامي والسيطرة الاقتصادية على مقدراته (الخطيب، ١٩٩٦).

(٨) ظاهرة سياسيّة اقتصاديّة وعسكريّة، ظهرت بظهور الإمبراطوريّات منذ العصر القديم، مثل: آشور وبابل وفارس، وظهرت في أوروبا في العصر الحديث بظهور القوميات وحركة الكشوف الجغرافية وقيام المذهب التجاري، متأثّرة في أصولها الفكرية برواسب الفلسفة الأرسية في العقليّة الأوروبيّة، حيث نبرة استعلاء الجنس الآري (نبهان، ٢٠٠٨، ص٢١).

(٩) ظاهرة اقتصاديّة عسكريّة، ظهرت في العصر الحديث عند أقدم الدّول الاستعماريّة (أي الرأسمالية) الصناعيّة، تسعى إلى التّوسع وفرض سيطرتها على الشعوب والأراضي دون رضى تلك الشعوب (نبهان، ٢٠٠٨).

(١٠) كلمة فرنسية الأصل، تدل على الطبقة الوسطى القائمة بين طبقة النّبلاء والطّبقة العاملة، وتستخدم كلمة برجوازية عند الاشتراكية والشّيوعية بمعنى الطّبقة الرّأسمالية المستغلّة، وهي التي تملك وسائل الإنتاج، وتستولي على فائض العمل الذي تقوم به الطّبقة الكادحة (نبهان، ٢٠٠٨).

(١١) راجع مثلا: الدعمي، الاستشراق، ابن نبي، انتاج المستشرقين، ص٤٢، مروة، النزعات المادية، ص١٠٨.

(١٢) الأثنولوجيا: علم يهتم بتصنيف الشعوب على أساس خصائصها ومميزاتها السلالية والثقافية، وتغير

توزعها في الوقت الحاضر أو في الماضي، كنتيجة لتحرّك هذه الشّعوب واختلاطها وانتشار الثّقافات، وهذه الكلمة تطلق كمرادف لعلم الأنثروبولوجي (نبهان، ٢٠٠٨).

(١٣) مثل فان فلوتن في كتابه السّيادة العربية، وفلهاوزن في كتابه الدولة العربية وسقوطها.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، سورة الحجرات، آية ١٣.

- ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، ١٥ج، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج١٠.
- ابن نبي، مالك، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط١، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م
- إدريس، سهيل، المنهل: قاموس عربي– فرنسي، (د.ط)، دار الكتاب، ٢٠٠٤م.
- بارت، رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١م.
- بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م.
- البعلبكي، منير، المبرد (قاموس انجليزي– عربي)، ط٣، (د.ن)، بيروت، ١٩٧٠م.
- تيزيني، طيب، على طريق الوضوح المنهجي كتابات في الفلسفة والفكر العربي، ط١، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٩م.
- تيزيني، طيب، من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب المغربي، ط١، دار الذاكرة ودار المجد، سورية، ١٩٩٦.
- حميّش، بنسالم، العرب والإسلام في مرايا الاستشراق، ط١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١١م.
- الدعمي، محمد، الاستشراق: الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م.
- الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.
- رضا، أحمد، معجم متن اللغة، المجلد الثالث، (د.ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩م.

- زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية التاريخية للصراع الحضاري، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٧م.
- زماني، محمد حسن، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم، ط١، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠م.
- سالم، ساسي الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية)، ٢ج، ط١، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢، ج١.
- سعيد، إدوارد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: محمد عناني، ط١، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- سمايلوفتش، أحمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- سوذرن، ريتشارد، صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ترجمة رضوان السيد، ط٢، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٦م.
- السيد، رضوان، المستشرقون الألمان النشوء والتأثير والمصائر، ط٢، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠١٦م.
- شيدر، هانز هينوش، روح الحضارة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، (د.ط)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١م.
- العروي، عبدالله، مفهوم التاريخ، ط٤، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– بيروت، ٢٠٠٥م.
- العظم، صادق جلال، ذهنية التحريم، ط٢، المدى للثقافة والنشر، سورية– بيروت– بغداد، ٢٠٠٤.
- عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، ٤ج، عالم الكتب، (د.م)، ٢٠٠٨م، ج٢.
- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ/١٠٠٣م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ط٤، ٦ج، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٤.
- فوزي، فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)، ط١، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨م.
- مروة، حسين، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، (د.ط)، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٧م، ج١.
- نبهان، يحيى محمد، معجم مصطلحات التاريخ، ط١، دار يافا للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨م.